﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾ [الواقعة: 88 - 96]

مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

حلقة الوصل بين مشهد الاحتضار ومآلات الأرواح

بعد أن ساق الله تعالى على مسامع المخاطَبين تلك المشاهد الكونيَّة العظيمة، مشهد النُّطفة وهي تُمنَى، ومشهد الحَبَّة وهي تُبذَر، وأقسَم بالقَسَم الجليل: ﴿*فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾، على أنَّ ما يُتلى عليهم قرآن كريم، ثمَّ انتقل بهم إلى موقفٍ يُدني منهم لحظةَ المصير حين تبلغ الرّوح الحلقوم، ولا يملكون لها رجعة، جاء هذا الفصل الأخير نتيجةً حتميَّة للسّياق المتتابع.

فإذا كان السّائل قد سمع التَّحدّي الإلهيَّ: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ﴾... ﴿تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾؛ فإنَّ ذهنه يتطلَّع بالفطرة إلى معرفة ما الَّذي يَلقَى هذا الخارجُ من الجسد بعد أن عجزتم أن تردّوه؟.

هنا جاءت الآيات: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾؛ لتبني على ذلك المشهد، وتفصِّل مَآل النَّفس بعد مفارقتها، مُقسِّمةً الخلق - كما هو شأن السّورة من أوَّلها - إلى ثلاثة أصناف: مقرَّبون، أصحاب يمين، مكذِّبون ضالّون.

فالآيات إذًا حلقة واصلة بين مقدِّمة الموت، الَّتي أُقيم عليها التَّحدّي السّابق، وبين مآلات الإنسان في الدّار الآخرة، وكأنَّها تقول:

إن كنتم تزعمون أنَّكم تملكون أمر هذه الرّوح، فردّوها؛ إن استطعتم، فإن لم تستطيعوا – وهي الحقيقة – فاعلموا أنَّ أمرها صار إلى الله، وهو الَّذي يقسِّمها هذا التَّقسيم العادل.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَرَوْحٌ﴾: جذر الكلمة هو: (روح)، وورد في القرآن على وجهين (الرّاحة) و(الرَّحمة)، فوجه منهما على المعنى الأوَّل قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ يعني راحة، وعلى المعنى الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا تَايْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾، أي: من رحمة الله[1]، و(الرّاء والواو والحاء) أصل كبير مطَّرد، يدلُّ على سعة وفسحة واطِّراد[2]، ويقال للرَّوْح: النَّسيم الطَّيِّب الَّذي يبعث في النَّفس حياةً وانشراحًا، ومن هذا المعنى سُمّيَت الرّاحة روحًا؛ لأنَّها تُشبه النَّسيم الَّذي يُنفِّس على المكدود، ويُذهِب عنه الضّيق[3].

2) ﴿وَرَيْحَانُ﴾: الرَّوح أصلٌ واسع تدور دلالاته حول الحركة والنَّفَس والرّائحة، ومنه الرّيح الَّتي تهبُّ، والرّائحة الَّتي تُشَمُّ، والرَّيحان للنَّبات العطر الَّذي تستروح به النُّفوس، ومنه قول العرب: خرجت أطلب ريحان الله، أي: رضاه وبِشرَه، والرَّيحان: الرِّزق[4]، قَوله: (مِن ريحان الله)، قيلَ: مِن رزق الله ﷻ، قالَ الله ﷻ: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرَّحمَن: 12]، أرادَ الرِّزق، وهوَ الحبُّ[5].

3) ﴿وَتَصْلِيَةُ﴾: يدور أصل معنى جذر (صلي) حول معنى مباشرة النّار ومكابدة لهيبها، يقال: صَلِيَ بالنّار صَليًا وصُليًّا؛ إذا قاسى حرَّها، ويقال: أصلاه النّار؛ إذا قرَّبه منها، وأدخله فيها، ومنه قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾ [المسد: 3]، فالفعل (صَلَى) يدلُّ على مسِّ النّار مباشرة والتَّمادي فيها[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ترسم الآياتُ الكريمات المشهدَ الختاميَّ لمصير الإنسان بعد الموت، فتقسِّم الخلق –

(1) الدّامغانيّ، قاموس القرآن، ص: 211.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 2/ 454.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (روح).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ريح).
(5) الزَّبيديّ، تاج العروس: (ريح).
(6) الخليل، العين: (صلي).

مصائر الأزواج الثّلاثة في ختام سورة الواقعة

كما هو دأب سورة الواقعة - إلى ثلاثة أصناف لا رابع لها، فإن كان الميِّتُ من المقرَّبين عند الله، وكان من أوليائه وصفوته، فله روحٌ، أي: راحة وسكينة تملأ روحه منذ لحظة خروجه من الدُّنيا، وريحانٌ، أي: طيبٌ وبُشرى تسرُّ حسَّه وقلبه، ثمَّ مآله إلى جنَّة نعيم ينعم بها أبدًا، وإن كان من أصحاب اليمين - وهم عامَّة المؤمنين الَّذين سلمت صحائفهم من الذُّنوب العظام - فبُشرى لهم بالسَّلامة؛ إذ يُستقبَلون بنداء سلام: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، سلامٌ من الله وملائكته ومن رفاقهم الصّالحين[1].

أمّا إن كان من المكذِّبين الضّالّين، الَّذين أعرضوا عن الحقِّ، وكذَّبوا بالبعث والجزاء، فليس ينتظرهم إلّا نُزُلٌ من حميم، شرابٌ يغلي يحرق الأمعاء، ثمَّ تصلية جحيم، أي: إقامة في النّار تُقلِّبهم ألسنة اللهب بلا مهرب ولا فكاك.

وتُذيِّل الآيات هذا البيان القاطع بقول الله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾؛ لتؤكِّد أنَّ ما قُصَّ عليهم ليس وعدًا يُظَنُّ، أو وعيدًا يُرتاب فيه، بل هو اليقين الَّذي لا يتطرَّق إليه شكٌّ، ثمَّ تأتي الخاتمة: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أمرًا للنَّبيِّ والمؤمنين أن يسبِّحوا الله تعظيمًا وإجلالًا بعد أن تجلَّت عظمة أمره في تدبير الموت والحياة ومصير الإنسان بعدهما[2]، فالآيات في مجملها لوحةٌ جامعة لمآلات البشر: راحةٌ ونعيمٌ للمقرَّبين، سلامٌ وبُشرى لأصحاب اليمين، وعذابٌ وهولٌ للمكذِّبين، ثمَّ ختمٌ بالتَّسبيح الَّذي يليق بجلال من أحكم هذه الأقسام وعدل فيها.

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 189.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 190.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الفاء ودلالتها:

تفرُّع مصائر النّاس على تقرير العجز عن ردِّ الرّوح

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ استئنافيَّة تفريعيَّة[1]، ووقوعها بعد شرطٍ مقدَّر، أو قل: بعد تمهيد سابق، يُراد به ما اقتضته الآيات الَّتي قبلها من تقرير عجز الإنسان عن ردِّ الرّوح، والبرهنة على حقِّ البعث والجزاء، فجاءت هذه الفاء؛ لتُفصِّل ما يُفرَّع عن ذلك التَّقرير، أي: إذا كانت الرّوح لا تُردُّ، والموت واقع لا محالة، فهنا تتباين المصائر، وتتفرَّع الفئات[2].

نوع (أمّا) ومعناها:

تهيئة المخاطَب لمضامين الكلام إقناعٌ عقليٌّ وتشويقٌ نفسيٌّ

(أمّا) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ من أدوات التَّفصيل، مركَّبة من (أمّا) الفاصلة و﴿إن﴾ الشَّرطية، وهي تَرد في مقام التَّقسيم والتَّفصيل بعد إجمال؛ لتُمهِّد لعرض أحوال متعدِّدة مترتِّبة على فرضيّات متباينة، فهي تفيد التَّمهيد لِمقابلٍ قادم، وتَبعث في النَّفس ترقُّبًا لما بعدَها، وتوحي بأنَّ ما يُلقى تاليًا هو تفصيل لأمر عظيم سبق بيانه، فهي تفيد تفصيل مصائر النّاس عند الموت بحسب منازلهم: إن كان من المقرَّبين، أو من أصحاب اليمين، أو من المكذِّبين الضّالّين.

دلالة استعمال ﴿إن﴾:

تقسيم المبهمات يكون بأداة (إن) والمعيَّنات بأداة (إذا)

إنَّ اختيار حرف الشَّرط ﴿إن﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ دون (إذا)، يدلُّ على الاحتراز من القطع بالتَّحقُّق في الخارج، وإن كان وقوعه لا محالة، فـ﴿إن﴾ حرف شرط لما يُفترَض وقوعه، أو يُتوهَّم فيه التَّردُّد[3]، وأمّا (إذا)؛ فهي لما تيقَّن وقوعه

(1) صافي، الجدول: 14/ 132.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 347.
(3) ابن يعيش، شرح ابن يعيش: 9/ 4.

وتحقَّق[1]، فجيء بـ﴿إِن﴾ في هذا الموضع، مع أنَّ الموت واقع لكلِّ نفس، والمآل لازم لكلِّ ميِّت؛ لأنَّ التَّقسيم هنا جارٍ على جهة الفرض والاحتمال لا على جهة الإخبار بالتَّحقُّق؛ إذ التَّقسيم لمبهم جمعيٍّ، لا لفرد عينيٍّ.

نكتة ذكر ﴿كَانَ﴾:

جـزاءُ الأعـمـال عـلـى حـيـاةِ الإنسانِ كلِّها لا على جزءٍ يسيرٍ منها

في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿كَانَ﴾ فعل يدلُّ على تحقُّق الوصف في الزَّمن الماضي، والمقصود به هنا: أنَّ الانتماء إلى أحد هذه الأصناف الثَّلاثة (﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾) لم يتقرَّر في لحظة الموت، وإنَّما تقرَّر في حياة الإنسان كلِّها قبل بلوغ الرّوح الحلقوم، فالتَّعبير بـ﴿كَانَ﴾ إشارة إلى أنَّ الصِّفة الَّتي سيُجازى بها الإنسان آنذاك إنَّما هي امتداد لحاله في الدُّنيا، فهو لم يُصبح من ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أو ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ عند لحظة الاحتضار، بل كان دَيْدَنه كذلك من قبل.

تعيين مرجع الضَّمير المستتر في فعل ﴿كَانَ﴾:

الإنـسـانُ في الـدُّنـيـا مجملٌ تـفـصـيـلـه في الآخرةِ على ثلاث أصناف

الضَّمير المستتر في فعل ﴿كَانَ﴾، في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾، مرجعه الإنسان الَّذي بلغت روحه الحلقوم، والَّذي تحدَّثت عنه الآيات السّابقة ابتداءً من قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾، أي: إن كان المتوفَّى من السّابقين[2].

نوع ﴿مِنَ﴾ ودلالتها:

حرف ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ للبيان، أي: إن كان الإنسان موصوفًا بصفة التَّقريب؛ فالحال كيت وكيت، أي: إن كان مقرَّبًا.

(1) السّيوطيّ، الإتقان: 1/ 149.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 183.

نوع (الـ) في لفظ ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾:

العهد الذِّكريُّ يربط بين أوّل السّورة وآخرها بتنزيل السّورة كلًّا مترابطًا

(الـ) الدّاخلة على لفظ ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾، هي (الـ) الجنسيَّة العهديَّة الذِّكريَّة، فهي تشير إلى فئة مخصوصة سبق ذكرها، أو يُشار إليها بوصف معلوم لدى السّامع، وهم الَّذين ورد ذكرهم في أوائل السّورة بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾، فصارت (الـ) هنا للعهد الذِّكريِّ على مستوى السّورة، وهي تربط بين مطلع السّورة وخاتمتها، وذلك على جعل سياق السّورة قطعةً واحدةً، والعهد الذِّكريُّ يكون في الكلام المتقارب باعتباراتٍ، وإذا جعلنا الكلام متباعدًا؛ فيكون التَّعريف في لفظ ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ ذهنيًّا.

بلاغة اختيار ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾:

السَّبق وصفٌ للسُّلوك الدُّنيويِّ والقرب وصفٌ للجزاء الأخرويِّ

﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ هم السّابقون الَّذين تقدَّم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾[1]، وفي اختيار لفظ ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ دون (السّابقين) مع أنَّ الوصف الأوَّل جاء فرعًا عن الثّاني في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ نكتة بيانيَّة لطيفة، جديرة بالتَّأمُّل، وهي من دقائق التَّعبير القرآنيِّ ومقاصده البلاغيَّة في توزيع الصِّفات بحسب السّياق، فـ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وصفٌ يُشير إلى العمل والسَّعي والمبادرة، وهو مرتبط بزمن التَّكليف والتَّسابق في ميدان الطّاعة؛ إذ هو تصوير لحال العبد في دنياه؛ إذ يتقدَّم غيره بالسَّبق إلى الخيرات، فكان ذكره أنسبَ في صدر السّورة، عند تفصيل أصناف النّاس في مجالات كسبهم، وأمّا ﴿ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾؛ فهو وصف الجزاء والمنزلة، لا وصف العمل، فذكره في مقام الجزاء الأخرويِّ والمآل الأبديِّ أبلغ وأوفق؛ إذ يُبرز ما آلت إليه حالتهم من كرامةٍ عند الله، فكانوا في حضرته مقرَّبين، بعد أن سبقوا

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 347.

في ميدان الطّاعة، فدلَّ على اكتمال المرتبتين: السَّبق في الدُّنيا، والقرب في الآخرة.

نوع الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَرَوْحٌ﴾:

الفاء في (فَـرَوحٌ وَرَيـحـانٌ) دلالة الجزاء وإضماره في السّياق

في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ في الكلام إضمار، تقديره: فله روح، أفصحت الفاء عنه؛ لكونها فاء الجزاء؛ لربط الجملة بالشَّرط، فعلم كونها جزاء[1]، وتدلُّ على أنَّ ما بعدها مترتِّب على ما قبلها ترتيب النَّتيجة على السَّبب، فالمعنى: إن ثبت أنَّه من المقرَّبين؛ فجزاؤه الموعود هو الرَّوح والرَّيحان وجنَّة النَّعيم، وقد ناب دخول الفاء هنا عن ذكر فعلٍ محذوف دلَّ عليه السّياق، والتَّقدير: (فله روح وريحان وجنَّة نعيم).

نكتة تنكير لفظ (روح):

الرّاحة في الجنَّة عظيمة الشَّأن واسعة الأثر

نُكِّر لفظ (رَوح) في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾؛ للتَّعظيم والتَّفخيم[2]، والتَّفتيح على الذِّهن بما لا يُقيَّد المعنى بنوع معيَّن من الرَّوح، بل يُفيده على الإطلاق، حتَّى يُفهَم منه أنَّه روح عظيم الشَّأن، لا يُدرَك كُنهه، ولا يُحدُّ وصفه، وهو للتَّكثير والتَّبجيل؛ ليوحي بأنَّ ما يلقاه المقرَّبون من الرّاحة والسُّرور والسَّكينة عند مفارقة الرّوح أمرٌ لا يُعبَّر عنه إلّا بكلمة نكرة تُطلق؛ لتدلَّ على عظمة المسمّى وسموِّ درجته.

توجيه تخصيص الرَّوح والرَّيحان بالذِّكر:

الرَّوحُ والرَّيحان مقدِّمة نعيم الجنَّة وريحةُ السَّبقِ لأهلِ النَّعيم

في قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، تقدَّم تخصيص الرَّوح والرَّيحان بالذِّكر قبل ذكر الجنَّة الَّتي تحتوي عليه إيماء إلى كرامتهم عند اللّه[3]؛ ذلك أنَّ الحديث في هذه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 175.
(2) حسن طبل، علم المعاني، ص: 169.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 347.

الآيات الكريمة يجري عن أحوال الإنسان عند النَّزع، لا عن نعيمه في الجنَّة فحسب، فالخطاب لا يزال في مقام وصف لحظة الموت، قبل أن يُنقَل إلى مقام الحساب والجزاء، فجاء التَّعبير بـ ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ملائمًا لحال المحتضر؛ إذ هما ممّا تُستروَح به النَّفس، وتطمئنُّ له الرّوح عند فزع الفراق، وهول الانتقال من عالم الشَّهادة إلى عالم الغيب.

فالـ(روح) فيه معنى السَّعة والفرج والأنس، ضدُّ الضّيق والوحشة، وهو تعبير جامع لكلِّ ما يُشعِر النَّفس بالسَّكينة، وهو أوَّل ما يُبَشَّر به العبد المؤمن من لطف ربِّه، أمّا (الرَّيحان)؛ فهو ما يُلَطِّفُ الحسَّ، ويبهج الذَّوق؛ كناية عن النَّعيم الحسّيِّ والبشارة بالعطر والرّاحة، فذكره بعد (الرّوح) يُنبئ بأنَّ المقرَّب يُبشَّر في تلك اللَّحظة بأمرين: راحةٍ وسكينةٍ معنويَّة، ونعيمٍ وعذوبةٍ حسّيَّة، وقد ورد في الحديث: «وإذا تَوفَّى اللّه العبدَ المؤمنَ أرسلَ إليه مَلَكَينِ بخِرقَةٍ منَ الجنَّة، ورَيحانٍ من رَيحانِ الجنَّة، فقالا: أيَّتُها النَّفسُ المُطمَئِنَّة، اخرُجي إلى رَوح ورَيحان، وربٍّ غيرِ غَضبان»[1].

دلالة إضافة الجنَّة إلى النَّعيم:

بيان الصِّفة وكمال النِّعمة في تجريد الجنَّة للنَّعيم

إضافة الجنَّة إلى (النَّعيم) في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ تفيد بيان صفة هذه الجنَّة وعظيم شأنها وبيان حقيقتها، والإضافة بمعنى (من)، أي: هي جنَّة من نعيم، فهي ليست مجرَّد جنَّة، بل جنَّة مختصَّة بالنَّعيم، فهو ملازم لها لا يفارقها، لا يشوبه كدر، ولا ينقطع، وجاء هذا التَّعبير بعد ذكر (الرَّوح والرَّيحان)؛ ليكون مسك الختام لمقام عالٍ من الكرامة، فلو قيل: (وجنَّة) فقط؛ لكان المعنى ناقصًا في الدَّلالة على وفرة النَّعيم ودوامه، ففيه تجريد الجنَّة للنَّعيم، فالجنَّة قد تجرَّدت للنَّعيم.

(1) الطّبرانيّ، المعجم الكبير: باب عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم الحديث: 14174: 13/ 355.

نوع الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَأَمَّآ﴾:

تقسيم الأصناف بالعطفِ المقتضي لتغايرِ ذواتها واشتراكها في بيان المآل

الواو في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ هي واو العطف، وقد عطفت الجملة على ما قبلها من قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، والدَّلالة البلاغيَّة لهذه الواو أنَّها جاءت لتقسيم حال الإنسان عند الموت إلى أقسام ثلاثة، فدلَّت على استئناف تفصيلٍ جديد بعد ما سبقه، بأسلوب يدلُّ على التَّفصيل والتَّقسيم، دون أن يكون فيه انقطاع عن السّياق، وهي في الوقت نفسه تسهم في ضرب التَّقابل بين كلِّ صنف وصنف؛ إذ تقرِّب الصّورة في ذهن السّامع وتدفعه إلى ترقُّب ما سيُذكر بعد كلِّ قسم، فهي واو تنقل الذِّهن من مشهد إلى آخر، مع المحافظة على وحدة السّياق الَّذي يدور حول مآل الإنسان بعد الموت بحسب منزلته.

دلالة ذكر أصحاب اليمين دون وصف من أوصافهم:

(أصحاب اليمين) عَلَمٌ على أهل الجنَّة دون السّابقين

إنَّ الاقتصار على ذكر ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ دون أن يُلحق بهم وصفًا إضافيًّا من أوصاف المدح - كما قُدِّم في ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ - فيه دلالة على أنَّ هذا التَّركيب الإضافيَّ أصبح عَلَمًا على صنفٍ من أصناف النّاس، وهو في الرُّتبة دون السّابقين، وقد تقدَّم وصفهم في السّورة بما يُغني عن التَّكرار.

نوع الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ﴾:

فاء الجزاء رابطةٌ الشَّرط بمآله

الفاء في قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ هي فاء الجزاء، وقعت في جواب (أمّا) في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، وهي تفيد ترتيب الجزاء على الشَّرط، أي: إن تحقَّق كون الميِّت من أصحاب اليمين؛ فالجزاء أن يقال له: سلامٌ لك، أو أن يُسلَّم عليه تسليمًا من جهتهم، وتُكسب هذه الفاء الكلامَ ضربًا من البلاغة يتَّسم بالإيجاز المتين؛ إذ تربط بين الشَّرط وحكمه ربطًا مباشرًا فيه معنى التَّتابع أو التَّسبُّب، فتُحدث في النَّفس ترقُّبًا للجزاء وتوقُّعًا للمآل.

بلاغة استعمال لفظ (سلام):

لـفـظ (سـلام) يـوحـي بـالأمـنِ ويُؤذن بالتَّكريم

آثر النَّظم الكريم استعمال لفظ (سلام)، في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، والسَّلام: اسم للسَّلامة من المكروه، ويطلق على التَّحيَّة[1]، وقد جاء في سياق الآية من جهة بلاغيَّة دالًّا على غاية الأمن والكرامة، ومُعبِّرًا عمّا يُحيط بأصحاب اليمين من حال الطُّمأنينة والسَّلامة، لا من العذاب فقط، بل من كلِّ مظنَّة أذى أو كدر، وهذا التَّعبير - لما فيه من التَّهنئة والتَّحيَّة - يشيع في النَّفس أنَّ استقبالهم يكون باستبشار وتوقير، كأنَّهم يُستقبَلون بالتَّرحيب والتَّبجيل، لا بمجرَّد النَّجاة.

وفي إيثار لفظ (سلام) دون ما عداه من ألفاظ النَّعيم إشارة إلى أنَّ السَّلام هو أوَّل مظاهر الكرامة الَّتي تتهيَّأ لصاحب اليمين في الدّار الآخرة؛ إذ هو إيذان بدخوله في دار الأمن، وسلامته من كلِّ مكروه، سواء ما كان متوقَّعًا أو متوهَّمًا.

نكتة تنكير لفظ (سلام):

السَّلام متنوِّع متكاثر في أصله وأثـره ومظهره ومآله

نُكِّر لفظُ (سلام) في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾؛ لإفادة التَّعظيم والتَّفخيم؛ لأنَّ التَّنكير في مقام المدح يُشعر بأنَّ المذكور أمر عظيم لا تحيط به العبارة، وكأنَّه يقول: (سلامٌ عظيمٌ)، (وسلامٌ خاصٌّ)، لا ككلِّ سلام، بل هو سلامٌ تتضاءل دونه تحايا البشر في الدُّنيا.

ثمَّ إنَّ التَّنكير المشوب بالإبهام المراد يوحي بالتَّنوُّع في مظاهر السَّلام، فلا يُقصَد سلام القول فقط، بل سلام الهيئة، وسلام المآل، وسلام الحال، وسلام من الأهوال، وسلام في النَّفس والبدن والخلد، وكأنَّهم مُحاطون بجوٍّ كلُّه سلامٌ من كلِّ جهة، من الله

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 348.

ومن الملائكة ومن الصّالحين، حتَّى كأنَّ السَّلامَ هو أوَّل ما يتلقّاه صاحب اليمين.

ولأنَّ هذا الجزاء دون ما ذُكِرَ للمقرَّبين، جاء التَّعبير عنه موجزًا موجَّهًا بالتَّنكير؛ لئلّا يُجعَل له حدٌّ أو قدر يُقارن بغيره، بل يُترك مجملًا تعظيمًا له وتشويقًا.

نوع اللّام ودلالتها في قوله: ﴿لَّكَ﴾:

دلالة لام الاختصاص في (لَكَ) سلامٌ مخصوص بالتَّشريف والإكرام

اللّام في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ للاختصاص، والكلام إجمال للتَّنويه بهم وعلوِّ مرتبتهم وخلاصهم من المكدِّرات؛ لتذهب نفس السّامع كلَّ مذهب[1]، وهي لام الاستحقاق، أي: إنَّ هذا السَّلام مختصٌّ بك، لا يُشارِكُك فيه غيرُك، وهو حقٌّ لك بسبب كونك من أصحاب اليمين، وهي بهذا تفيد تقوية معنى التَّخصيص والتَّشريف، فكأنَّها تقول: هذا سلام موجَّه إليك خاصَّة، لا يُلقى جزافًا، ولا هو سلامٌ عابر.

وفي هذا التَّوجيه للسَّلام إلى المخاطَب ما يُشعر بالعناية والرِّضا والتَّكريم، وتضمَّنت اللّام معنى الإكرام، كما تقول: (هذا لك)، أي: هذا مُهيَّأ لك ومُهدى إليك، فصار السَّلام بذلك بمنزلة الهديَّة الَّتي تُلقى على وجه اللُّطف والإيناس من أصحاب اليمين، أو من الملائكة، أو من الله تعالى، وكلُّ ذلك جائز، والمعنى يحتمل الجمع بينه، فتكون اللّام جامعة لدلالة الاختصاص، والتَّشريف، والرِّضا.

تعيين المقصود بالخطاب في قوله: ﴿لَّكَ﴾:

بلاغةُ الكنايةِ عن حال أصحاب اليمين بأنَّهم أهل سلامة وسلام

اختلف المفسِّرون في كاف الخطاب الواردة في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، فقيل: هي موجهة لغير مُعيَّن، أي: لكلِّ من يسمع هذا الخبر، والمعنى: أنَّ السَّلامة الحاصلة لأصحاب اليمين تسرُّ من يبلغه أمرها[2].

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 348.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 348.

فهو خطاب مراد به التَّمثيل الذِّهنيُّ لا الإخبار عن مخاطَب معيَّن، ولكنَّه في مقام التَّقرير أبلغ؛ لأنَّ إسناد السَّلام إليه بهذه الطَّريقة يُشعر بالمباشرة والتَّكريم، على عادة القرآن في استعمال الخطاب الحيِّ؛ لتنبيه القلوب، أي: ناهيك به شرفًا وحسبك به كرمًا، أي: لا تطلب زيادة على جلالة حاله، فكذلك سلام لك منهم، أي: لا تطلب زيادة على سلامتهم جلالة وعظم منزلة"[1]، وإنَّما معنى الآية: "فسلام لك أيُّها الرّاحل عن الدُّنيا حال كونك من أصحاب اليمين، أي: فسلام لك كائنًا من أصحاب اليمين الَّذين سلموا من الدُّنيا وأنكادها، ومن النّار وعذابها، فبُشِّر بالسَّلامة عند ارتحاله من الدُّنيا وقدومه على الله، كما يُبشِّر الملك روحه عند أخذها، بقوله: (أبشري بروح وريحان وربٍّ غير غضبان) "[2].

ويجوز – مع هذا – أن يُجعل الضَّمير عائدًا على النَّبيِّ ﷺ تشريفًا له، أي: فسلام لك يا محمَّد من أصحاب اليمين، تسليمًا منهم لك، أو بشارة من الله لك بما يناله أصحاب اليمين، كما في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر: 5]، واللَّفظ يحتمل المعنيين، والجمع بينهما غير بعيد"[3].

نوع ﴿مِنۡ﴾ ودلالتها:

دلالات (مِـــن) بـين الابـتـداء والتَّبعيض

إنَّ ﴿مِنۡ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾، هي لابتداء الغاية على تقدير: فسلامٌ ناشئ لك من جهة كونك من أصحاب اليمين، أي: بسبب منزلتك هذه، فكأنَّ السَّلام مترتِّب على دخولك في عدادهم، ومبتدَؤه من هذا الوصف الشَّريف[4].

ورأي آخر فإنَّ ﴿مِنۡ﴾ تبعيضيَّة باعتبار أنَّ ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾

(1) القيروانيّ، النّكت في القرآن الكريم، ص: 482، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 430.
(2) ابن القيّم، تفسير القرآن الكريم، ص: 513 - 514.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 349.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 348.

خبر مبتدأ محذوف، أي: أنت من أصحاب اليمين، فتكون ﴿مِنۡ﴾ على هذا تبعيضيَّة، فهي بشارة للمخاطَب عند البعث على نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرَّعد: 23 - 24][1].

وحمْلُها على الابتداء أوفق؛ لتوافقها مع ظاهر النَّظم، وعدم الحاجة إلى التَّقدير.

بلاغة إظهار ما حقُّه الإضمار:

مكمن تعليل الإكرام وبيان السَّلامة في اسم (أصحابِ اليَمينِ)

إظهار ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ دون أن يقول: (فسلام لك منهم) مقصود به تعليق الذِّهن بهذا الاسم الجليل مرَّةً ثانية، بعد أن ذُكِرَ في الجملة السّابقة: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾، وذلك لغاية التَّوكيد والتَّنويه بشأنهم، كأنَّ السّياق يُعيد ربط المعنى بصفاتهم لا بأشخاصهم؛ لأنَّ التَّعبير بالضَّمير لا يُنبِّه الذِّهن إلّا إلى المعنى السّابق مباشرة، بينما إعادة الاسم يُجدِّد حضوره بقوَّة في النَّفس.

وفي هذا الإظهار إشارة إلى أنَّ السَّلام مشروط بانتمائه إلى هذا الفريق، أي: إنَّ كونه من أصحاب اليمين هو علَّة هذا الإكرام، فالتَّكرار يفيد التَّعليل الضِّمنيَّ: سلام لك لا لذاتك، بل لكونك من أصحاب اليمين، فكان ذكرهم مجدِّدًا أدخل في التَّوكيد وأوقع في النَّفس.

نوع الواو ودلالتها في قوله: ﴿وَأَمَّآ﴾:

بلاغة واو العطف في الحفاظ على تماسك السّياق واستمراريَّة التَّقسيم

الواو في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ هي واو العطف، عطفت هذا الاحتمال الثّالث على ما قبله في سياق متَّصل، يذكر فيه مصير الإنسان بعد بلوغ الرّوح الحلقوم، وذكرها يُفيد الاستمرار في بناء الاحتمالات على نسق واحد متلاحق، بلا انقطاع في السّياق ولا استئناف، ممّا يُضفي على العرض طابعًا من الإحاطة

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 349.

والتَّوازن في عرض مصائر النّاس، فقد قُسِّموا إلى ثلاثة لا رابع لهم، وكلٌّ يُصاغ مصيره بعبارة موزونة على النَّحو نفسه، فإيراد الواو حافظ على تماسك السَّرد، ودلَّ على أنَّ هذا الصِّنف الثّالث - أعني المكذِّبين - داخل في النَّسق السّابق لا خارج عنه، وأنَّ عاقبته محسومة كما حُسمت عاقبة سابقيه.

بلاغة النَّسق في الأقسام الثَّلاثة:

جاء نظم: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ﴾ في الأقسام الثَّلاثة، ويُلاحظ أنَّ هذا التَّركيب قد جرى على نسق واحد في الأقسام الثَّلاثة (﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾، ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾)، ممّا يُكسب البناء توازنه البيانيَّ، ويُعزِّز وحدة العرض، ولكنّ كلَّ موضع له إيحاؤه الخاصُّ، فـ﴿كَانَ﴾ في هذا السّياق الثّالث تُضفي طابعًا من الإدانة الضِّمنيَّة، كأنَّها تقول: لم يكن كفره في آخر أمره، بل كان في أصل سيرته.

تكرار النَّسق في الأصناف الثَّلاثة عدالةٌ في الحكم ببيان معايير الجزاء

وفي هذه الصّياغة بأسلوب الفرض والتَّمثيل ما يبعث الذِّهن إلى المحاكمة والمقارنة، كأنَّ الآية تعرض الإنسان، وهو يُنظر في مصيره، على ضوء ما كان عليه في دنياه، فجاء الضَّمير مستترًا في ﴿كَانَ﴾؛ ليدلَّ على كلِّ من يمكن أن يُقاس على هذا النَّموذج، لا شخص بعينه، فتعمَّ الفائدة، وتُثير النَّفس سؤالها عن حالها.

بلاغة التَّعبير عن أصحاب الشِّمال بقوله: ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾:

جاء التَّعبير عن أصحاب الشِّمال في هذا الموضع بـ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بدلًا من تسميتهم بـ (أصحابُ الشِّمالِ)، كما في شأنِ (أصحاب اليمين)؛ وذلك لتعليل العذاب بصفتي التَّكذيب والضَّلال، فلم يُذكَر المصير الشَّقيُّ لهؤلاء ابتداءً، بل قدَّمه بذكر السَّبب الَّذي استحقّوا به ذلك الجزاء، وهو أنَّهم كذَّبوا بالحقِّ لما جاءهم، وضلّوا عن سواء السَّبيل، كما أنَّ التَّعبير الوصفيَّ أشدُّ إيغالًا في الإزراء بهم

إظهارُ علل الجزاء في حقِّ الضّالّين أنسب من الوصف المجرَّد

من التَّعبير الاسميِّ، ففي (أصحابُ الشِّمالِ) ضربٌ من الإجمال الَّذي قد يوهِم التَّهوين، أمّا ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ ففيه تجسيد لمعاني الجحود والعناد، وإبراز لخطر حالهم، فالآية تُشهِّر بهم، وتفضح باطنهم، فلا يُحكَم عليهم فقط بموقعهم في الآخرة، بل يُحكَم عليهم من جذور سلوكهم في الدُّنيا.

توجيه تقديم ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ على ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾:

إنَّ تقديم ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ على ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ في هذا الموضع من سورة الواقعة، مع أنَّ التَّرتيب السّابق في أوائل السّورة جاء على عكسه ﴿ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾، له وجهٌ بلاغيٌّ دقيق، يُفهم من خلال اختلاف المقامين وغايات السّياقين.

التَّكذيب هو سبب استمرار الضَّلال، فتقديمه للتَّنبيه على علَّة الجزاء لا على أصل السُّلوك

فالموضع الأوَّل كان في سياق التَّهديد المجمل والوعيد العامِّ، جاء ذكر ﴿ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ باعتبار ترتيب الحال الباطنيِّ أوَّلًا، وهو الضَّلال، ثمَّ ما يتبعه من مظهره العمليِّ، وهو التَّكذيب، فناسب التَّرتيب التَّدرُّج من الباطن إلى الظّاهر، ومن أصل الفساد العقديِّ إلى تجلّيه في الإنكار، أمّا الموضع الثّاني، فهو مقام تفصيل المصائر، وذكر الجزاء، وهو سياق جزائيٌّ لا تقريريٌّ، فقدَّم فيه ﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾؛ لأنَّ التَّكذيب هو العلَّة الأقرب والمباشرة في استحقاق العذاب، ولأنَّ السّورة بتمامها قائمة على إثبات صدق ما أُنذروا به في الآخرة وتكذيبهم له، فجاء تقديم وصفهم بالتَّكذيب إيذانًا بأنَّ هذا الجحيم الَّذي ينتظرهم لم يكن إلّا جزاءً على موقفهم من هذا ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾ الَّذي كذَّبوا به، كما قال تعالى في صدر الآيات: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾، فجاءت نهاية المشهد؛ لتكشف مآل هذا التَّكذيب، فناسب أن يُبتدأ به، فـ "قدَّم هنا وصف التَّكذيب على وصف الضَّلال عكس ما تقدَّم في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾؛ لمراعاة سبب ما نالهم من

العذاب، وهو التَّكذيب؛ لأنَّ الكلام هنا على عذاب قد حان حينه، وفات وقت الحذر منه، فبُيِّن سبب عذابهم، وذُكِّروا بالَّذي أوقعهم في سببه؛ ليحصل لهم ألم النَّدم"[1].

ثمَّ ثُنِّي بالضَّلال؛ لأنَّ الضَّلال هو أصل منشئهم في الكفر، لكنَّه في هذا السّياق صار تابعًا؛ لأنَّه لم يكن وحده سبب الهلاك، بل كان مقرونًا بالمكابرة والتَّكذيب، فكان من تمام البلاغة أن يُقدَّم ما هو أظهر وأشدُّ، وهو التَّكذيب، ويُؤخَّر ما هو أصل، لكنَّه صار كالصِّفة التّابعة له.

نوع الفاء ودلالتها في قوله: ﴿فَنُزُلٌ﴾:

الرَّبط المباشر بين الشَّرط والجزاء بيانٌ لأثر الشَّرط الإلهيِّ في الجزاء الأخرويِّ

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ رابطة لجواب الشَّرط، فقد جاءت لتُفصِح عن جواب الشَّرط السّابق في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، فهي تفيد أنَّ ما بعدها نتيجة لما قبلها، أي: إن تحقَّق هذا الفرض - وهو كونه من المكذِّبين الضّالّين - فالجزاء الَّذي يترتَّب عليه هو أن يكون له نُزُلٌ من حميم، لا غيره، فالفاء تفيد ربط الجزاء بحال صاحب الشَّرط ربطًا مباشرًا يُشعر بالبداهة واللُّزوم.

دلالة مفردة (نزل) وتكرارها في السّورة:

إيراد المكذِّبين نزل الحميم وتعذيبهم بنارٍ مؤجَّجة

استعمال مفردة (نُزُل) في قوله تعالى: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ جاء في غاية البلاغة؛ إذ إنَّ لفظ النُّزُل يُطلَق على ما يُقدَّم للضَّيف عند نزوله، من الطَّعام والرّاحة والضّيافة[2]، فاللَّفظ في أصله يدلُّ على الإكرام، لكنَّه استُخدِم هنا على وجه التَّهكُّم والسُّخرية، فجعل ما يُقدَّم للمكذِّبين عند نزولهم آخرتهم هو حميم - أي: شراب حارٌّ يغلي - بدلًا من الكرامة والنَّعيم، فجاء التَّعبير جارحًا صادمًا،

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 349.
(2) الزّركشيّ، البرهان: 2/ 232.

يُصوِّر حالهم، وكأنَّهم ضُيّفوا في دار، ولكنَّها دار العذاب، وما يُقدَّم لهم فيها هو العذاب نفسه، فاختير له لفظ يُشبه ما يُقال في مقام التَّكريم، لكنَّ الواقع أنَّه تجسيد للإهانة، وهذا من أبلغ ضروب المفارقة البلاغيَّة الَّتي تُثير التَّأمُّل وتوقع التَّهويل مع التَّهكُّم الشَّديد.

بلاغة التَّهكُّم في استعمال مفردة (نزل):

المكذِّب للحقِّ والضّال عن الهدى يستحقُّ إكرامًا بغير معناه وتشريفًا بغير مبناه

في التَّعبير بقوله: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ تنطوي بلاغة تهكُّميَّة لاذعة؛ إذ استُعمِلت لفظة (نُزُل) - وهي في أصل معناها ما يُهيَّأ للضَّيف عند نزوله من كرامة ومآدب - في موضع العذاب، فجُعِل الحميم هو الَّذي يُستقبَل به المكذِّبون الضّالّون، فكأنَّهم ضُيّفوا على دار، وما جُعِل لهم فيها ممّا يُقدَّم عادة للزّائرين، لم يكن طعامًا ولا راحة، بل كان شرابًا من الغليان، وسَقيًا من المهانة[1]، وهذا من أبلغ أنواع السُّخرية البلاغيَّة، إذ تُستعار ألفاظ الكرامة لمعاني العقوبة؛ ليكون وقعها أشدَّ وأوجع، ويُشعر السّامع بقلب الأحوال ونكسة المصير.

والتَّهكُّم هنا جاء بعد بيان صفاتهم ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، فناسب أن يُعامَلوا بألفاظ تُشبه أحوال الكرم في ظاهرها، لكنَّها في باطنها نكالٌ وعذاب جزاءً وفاقًا، ولتكون مفارقة التَّعبير كاشفة عن شناعة حالهم، ومن هذا الباب قوله تعالى في موضع آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ۝٦٧﴾ [الصّافات: 67].

نوع ﴿مِّنْ﴾ ودلالتها:

فائدة (مِن) البيانيَّة تحديد النُّزُل وبلاغة التَّحقير

في قوله تعالى: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ جاءت ﴿مِّنْ﴾ بيانيَّة، وهي الدّاخلة على جنس ما يُبيَّن به مضمون (نُزُل)، أي: الشَّيء الَّذي يُقدَّم ابتداءً لمن يُستقبَل، فالمعنى: أنَّ هذا الحميم هو عين النُّزُل لا جزءًا منه ولا مشتقًّا، بل هو بذاته ما يُتهيَّأ لهم عند نزولهم في

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 5/ 254.

العذاب، وهذا التَّحديد يفيد التَّنكير الممزوج بالتَّهويل، فليس ثمَّة صنف آخر ينتظرهم، ولا باب مفتوح للنَّجاة.

فائدة اختيار لفظ ﴿حَمِيمٍ﴾:

تصوير أقصى درجات العذاب بأشدِّ درجات الحرارة

اختير لفظ ﴿حَمِيمٍ﴾ في قوله: ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾؛ للدَّلالة على أقصى ما يُتصوَّر من العذاب حسًّا ومعنًى، ولأنَّ هذا اللَّفظ في ذاته يحمل دلالات حراريَّة مرهبة، فهو مأخوذ من الحُمّى، أي: الحرارة الشَّديدة الَّتي تغلي بها الأجسام، وهو الماء البالغ الغليان حتَّى يُحرق، ولا يُروى به الظَّمأ، فجاء استعماله في هذا السّياق؛ لتصوير النُّزُل الَّذي يُستقبَل به المكذِّبون الضّالّون، على سبيل المشاكلة التَّهكميَّة؛ إذ النُّزُل عادةً ما يكون ممّا يُكرَّم به الضَّيف، فجعل أوَّل ما يُستقبَلون به (حميمًا)، لا يُستساغ شربه، بل يُلهب الأحشاء، ويزيد العذاب، وفي هذا تهويل من العاقبة، وتحقير لحالهم، وتنبيه على أنَّ هذا المصير هو جزاء تكذيبهم وضلالهم، لا عفو ولا كرامة فيه.

نكتة عطف ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ على السّابق:

تصعيد البلاغة في تصوير العذاب وتدرُّجه

جاء عطف ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ على ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾؛ لبيان أنَّ ما أُعِدَّ لهؤلاء المكذِّبين الضّالّين ليس نوعًا واحدًا من العذاب، بل درجات متصاعدة من الإهانة والعقوبة، تتوالى دون فاصل، وتزداد شدَّةً وفظاعة، فـ(النُّزُل) هو ما يُقدَّم للضَّيف عند نزوله، وقد استُعمِل تهكُّمًا لما فيه من إظهار الكرم في معرض الغضب، ثمَّ عُقِّبَ ذلك بـ(تصلية الجحيم)، وهي الإقامة في نار تلظّى، لا مجرَّد مرور أو اقتراب.

والبلاغة في هذا العطف أنَّه كشف عن أنَّ عذابهم ليس عارضًا ولا عابرًا، بل هو مُرتَّب، موصول، فيه تهويلٌ وتفنُّنٌ في الإيلام، مناسبٌ لوصفهم بـ﴿ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، فجاءت الجملة في نهاية التَّقسيم الثُّلاثيِّ؛ لتكون خاتمة سوداء تقابل مصير المقرَّبين

وأصحاب اليمين، وتُظهر العدل التّامَّ والميزان الدَّقيق الَّذي وُزِّعت به المآلات.

دلالة اختيار مفردة ﴿وَتَصْلِيَةُ﴾:

تصعيد وصف جزاء المكذِّبين تدرُّج في التَّهويل وقطع للرَّجاء في سياق الجزاء

التَّصلية: مصدر صلَّى المشدَّد، (وأصل الألف فيه ياءٌ)؛ إذا أحرقه، وشواه، يقال: صلَّى اللَّحم تصلية؛ إذا شواه، وهو هنا من الكلام الموجَّه؛ لإيهامه أنَّه يُصلّى له الشِّواء في نزله على طريقة التَّهكُّم، أي: يحرِّق بها، والجحيم: يُطلق على النّار المُؤجَّجة، ويُطلق عَلَمًا على جهنَّم دار العذاب الآخرة[1]، فاختير تصلية؛ لبيان نوعها، وهو تصعيدٌ في العذاب؛ إذ بدأ العذاب بنُزُل الحميم، ثمَّ رفع وتيرة التَّهويل فذكر التَّصلية المخصوصة بكونها من جحيم.

دلالة الإضافة:

لتعيين هول العذاب وبلاغة الإضافة المفعوليَّة

إضافة ﴿وَتَصْلِيَةُ﴾ إلى ﴿جَحِيمٍ﴾ في قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ هي إضافة مفعوليَّة، تفيد أنَّ الجحيم هو محلُّ التَّصلية ومكانه، أي: إدخالهم في نار تتَّقد اتِّقادًا شديدًا يحترقون بها إحراقًا مستمرًّا، وقد وُضِعت هذه الإضافة؛ لإبراز هول الفعل وشناعة موقعه، فالتَّصلية وحدها تفيد الإدخال في النّار، أمّا إضافتها إلى الجحيم؛ فتصيِّرها أشدَّ وأفظع؛ لأنَّ الجحيم أبلغ ما يُتصوَّر من النّار في شدَّتها واضطرامها، وفي هذه الإضافة تعيينٌ وتخصيص، فليست أيَّ نار، بل جحيم مخصوص، معلوم الوصف، دائم الاشتعال، فالإضافة لبيان نوع التَّصلية.

بلاغة اختيار ﴿جَحِيمٍ﴾:

اختيار لفظ (جحيم) لبيانِ شدَّة الاشتعال وكونه عَلَمًا على ذلك

اختير لفظ ﴿جَحِيمٍ﴾ دون غيره من أسماء النّار في قوله تعالى: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾؛ لما في هذه المفردة من خصائص لفظيَّة ومعنويَّة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 350.

تتلاءم مع مقام الوعيد والتَّقريع، وتحقُّق مقصود السّياق في تصوير العذاب بأشدِّ صورهِ.

فـ(الجحيم) النّارُ الشَّديدة التَّأجُّج والالتِهاب[1]، فهي مأخوذة من (الجَحم)، وهو شدَّة الاتِّقاد والتَّلهُّب، جحمت النّار؛ إذا اضطرمت، وجمر جاحم؛ إذا اشتَدَّ اشتعاله[2]، ولهذا خُصَّت الجحيم - من بين أسماء النّار - بما يدلُّ على التَّوحُّش والاشتعال الَّذي لا يُطاق، فجاءت الكلمة هنا؛ لتجعل صورة العذاب المصوَّر بالتَّصلية أشدَّ إيلامًا في الذِّهن، وأوقع في النَّفس من مجرَّد ذكر (نار) أو (سعير)؛ إذ كلُّ جحيمٍ نارٌ، وليس كلُّ نارٍ جحيمًا.

بلاغة التَّوكيد في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾:

اشتملت جملة التَّذييل على أربعة مؤكِّدات، وهي: ﴿إِنَّ﴾، واللام، وضمير الفصل، وإضافة شبه المترادفين[3]؛ إذ جاء التَّوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ بأبلغ صوره؛ إذ اجتمع فيه توكيد بالحرف ﴿إِنَّ﴾، والتَّقديم بـ﴿هَٰذَا﴾، ودخول اللام في ﴿لَهُوَ﴾، ثمَّ الإتيان بتركيب معرَّف بالإضافة ﴿حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾، وكلُّ ذلك؛ لإثبات الحقيقة المعروضة قبله إثباتًا لا مجال فيه للرَّيب، وتقريرًا جازمًا لما تضمَّنته الآيات من تقسيم النّاس عند الموت إلى مقرَّبين، وأصحاب يمين، ومكذِّبين ضالّين، وما يتبع ذلك من جزاء مفصَّل.

توكيد جملة التَّذييل إشعارٌ بواقع المكذِّبين، وأنَّهم في غفلةٍ عن حقائق التَّهديد

بلاغة التَّذييل في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾:

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾، يعني الجزاء المبين[4]، وهو تذييل لجميع ما اشتملت عليه السّورة من المعاني المُثبَّتة[5]، وجاء

في ختام السّورة تثبيتٌ للحقِّ وقطع باليقين

(1) الخليل، العين: (جحم).
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (جحم).
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 350.
(4) مجاهد، تفسير مجاهد، ص: 646.
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 350.

هذا التَّذييل في ختام عرض مصائر أصناف النّاس الثَّلاثة في ساعة الموت وما بعدها؛ ليكون بمنزلة الحصيلة المُقرَّرة لما سبق، والخاتمة الَّتي تُثبِّت في القلب حقيقة ما عُرِض، وتُغلق الباب على التَّردُّد أو التَّكذيب، فالتَّذييل هنا ليس زيادة فحسب، بل هو توطيد لمعاني التَّفصيل السّابقة، وتثبيت لها في النَّفس، بعد أن استُعرِضت بأسلوب الشَّرط والتَّمثيل.

والتَّذييل بهذه الصّيغة البلاغيَّة له أثر في الانتقال بالذِّهن من مقام التَّصوير والتَّقسيم إلى مقام التَّصديق والتَّسليم، فبعد أن يطوف السّامع بين أحوال الموتى في مصائرهم، يُختَم له بالمؤكَّد الَّذي يجعله يوقن أنَّ كلَّ ما مرَّ إنَّما هو الحقُّ المحض، لا شبهة فيه.

غرض الإشارة باسم الإشارة للقريب:

تنزيل المعاني منزلة المشاهدات المحسوسات

الإشارة باسم الإشارة للقريب في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ جاءت؛ لتعظيم المشار إليه وتقريبه في الذِّهن[1]، كأنَّه حاضر منظور، لا مجرَّد أمر غائب متخيَّل، والمقصود بـ﴿هَٰذَا﴾ ما تقدَّم ذكره من تفصيل أحوال الإنسان عند الموت، ومصير كلِّ صنف من أصناف النّاس الثَّلاثة، في مقام تصوير المصير الأخرويِّ في لحظاته الفاصلة، ففيه تنزيل المعنى منزلة المحسوس المَرئيِّ.

بلاغة ضمير الفصل (هو):

توكيد القصر وتثبيت الحقِّ وترسيخ المؤمن وتنحية المنافق

جاء ضمير الفصل في قوله: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ لتوكيد الحكم وتثبيته، وهو من مواضع البلاغة الَّتي يُستعمَل فيها هذا الضَّمير لإفادة القصر، أي: إنَّ هذا لا غيره هو حقُّ اليقين، فنُفيَت عنه مشابهة الباطل، وأُثبِت له أسمى درجات الحقِّ.

وهذا الأسلوب يُفيد تخصيص الخبر بالمبتدأ تخصيصًا مؤكَّدًا، على وجه يقابل به تكذيب الكافرين وتساهلهم بما جاء في هذا

(1) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 1/ 82.

الحديث، فذكر ضمير الفصل هنا ليس لمجرَّد الرَّبط، بل لأداء معنى القصر والتَّوكيد، حتَّى يُفهم أنَّ هذا البيان - الَّذي تضمَّن مصائر النّاس الثَّلاثة - هو وحده الحقيقة الكاملة، لا يُدانيها ريب، ولا يُلحق بها باطل، بل هو حقُّ اليقين، لا ظنًّا ولا تخمينًا، "قال قتادة في هذه الآية: إنَّ الله ﷻ ليس تاركًا أحدًا من النّاس حتَّى يوقفه على اليقين من هذا القرآن، فأمّا المؤمن؛ فأيقن في الدُّنيا، فنفعه ذلك، وأمّا المنافق؛ فأيقن يوم القيامة حيث لا ينفعه"[1].

بلاغة إضافة الصِّفة إلى الموصوف:

تعظيم التَّوكيد وتفرُّد المعنى بأنَّه بالغ الدَّرجة العالية من المديح

إضافة الصِّفة إلى الموصوف في قوله تعالى: ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، أي: (لهو اليقين الحقُّ)؛ وذلك أنَّ الشَّيء إذا كان كاملًا في نوعه؛ وصُف بأنَّه حقُّ ذلك الجنس، وهو من الأساليب البلاغيَّة الدَّقيقة الَّتي تنقل المعنى من مجرَّد الوصف إلى مرتبة من التَّعظيم والتَّوكيد، فالمعنى: أنَّ الَّذي قصصنا عليك في هذه السّورة هو اليقينُ حقُّ اليقين[2]، فـ ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ تركيب إضافيٌّ أُريد به توصيف ﴿ٱلْيَقِينِ﴾ نفسه، لا بوصفٍ خارجيٍّ طارئ، بل بوصفٍ كأنَّه صار له عنوانًا وذاتًا، فكأنَّ (الحقَّ) صار نفس ﴿ٱلْيَقِينِ﴾ لا صفةً لاحقة عليه، وفي هذا مبالغة في الثَّبات والصِّدق، "ويجوز أن تكون الإضافة بيانيَّة على معنى (مِن)، وحقيقته على معنى اللّام بتقدير: لهو حقُّ الأمر اليقين"[3]، ووجه البلاغة في هذا الأسلوب أنَّ الإضافة من هذا النَّوع تفيد التَّفرُّد والاختصاص، كأنَّما قيل: (هذا هو اليقين الَّذي هو أقصى درجات الحقِّ)، أو: (هذا هو الحقُّ الَّذي بلغ من القطع مبلغ اليقين في القلوب، حتَّى صار يُرى كالمُشاهَد لا يُرتاب فيه)، وهي درجة تعلو (علم اليقين)، وتجاوز (عين اليقين)، كما جاء في تنوُّع

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 431.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 350.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 350.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والخمسون،
سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 59 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-648-68-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 59 : المجلد التاسع والخمسون، سورة الرَّحمن من الآية 31 إلى سورة الحدِيد الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-648-68-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7377148 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"